مساهمة العرب في الكشوف الجغرافية :

من الخطأ ان نتصور ان النشاط العربي كان مقتصراً على المناطق البرية باعتبار ان بيئتهم كانت بيئة صحراوية وننسى ان البحر المحيط بهم من اكثر جهاتهم وعليه فان العرب قبل الاسلام كانوا تجاراً وملاحين تمرسوا بركوب البحار الى البلاد النائية فركبوا البحر الاحمر الى مصر وبلاد الحبشة وركبوا بحر عمان والمحيط الهندي وطافوا حول سواحل الهند يصدرون اليها ويستوردون منها .

فمنذ العصر السبئي والحميري استخدم العرب البحر كوسيلة نقل دائم وثابت واكثر اماناً . واذا كانت المصادر التي تعيننا على معرفة ذلك محدودة وخاصة عن مرحلة الاسلام فلا يمكن ان تتناسى دور الحضارة واهل عمان وركوبهم للبحر منذ زمن بعيد .

ومن العرب الذين اشتغلوا بالتجارة قريش ذات النشاط التجاري الواسع وكانت تبعاً لذلك كثيرة الرحلات والاسفار وكان لها رحلتان مشهورتان كل عام هما رحلتا الشتاء والصيف ورد ذكرهما في القرآن الكريم وكانت رحلة الشتاء جنوباً الى اليمن ورحلة الصيف شمالاً الى الشام .(٢)

ويمكن ان نستنتج مما تقدم ان مساهمة العرب في توسيع الافق الجغرافي مرحلة قبل الاسلام لايقل عن بقية الامم المعاصرة لهم بل انهم فاقوا تلك الامم اما في العصر الاسلامي فقد كانت الفتوحات العربية تمثل حملات استكشاف ودراسة لمناطق عديدة في العالم القديم وكان من نتيجتها تكوين الامبراطوريات العربية التي امتدت من الصين شرقاً حتى المحيط الاطلسي غرباً ومن جنوب اوربا حتى الصحراء الكبرى في افريقيا .

ونتيجة للاوضاع السياسية التي مارستها الامة العربية وبروز قوتها وهيبتها بين شعوب العالم ، فقد ساعد ذلك على تشجيع الكثير من ابناء الامة العربية للارتياد والاسفار فقام من العرب رحالة جابوا ارجاء العالم .

---

(١) علي محسن عيسى مال الله ، ادب الرحلات عند العرب في المشرق ص ١٢

وكانت الرحلات التي قام بها الرحالة العرب ذات طابع فني في الاسلوب متأثرة بالظواهر الجغرافية والتاريخية والاجتماعية والعلمية .

والرحلات ذات الطابع الفني بدأت منذ بداية العصر الاسلامي ففي زمن الرسول (ص) حدثتا رحلتان واحدة تنسب الى تميم الداري والثانية الى عبادة بن الصامت ولما كان موضوع الفكر الجغرافي في العصر الاسلامي قد تناولناه بالتفصيل ، فاننا سنكتفي بالاشارة اليها اشارة عامة ، ومن اهم الرحلات في القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي .(١)

١) رحلة سلام الترجمان (٢٢٧ هـ ـ ٨٤٢ م) .
٢) رحلة ابن موسى المنجم (٢٧٧ هـ ـ ٨٤٢ م) .
٣) رحلة سليمان التاجر (٢٣٧ هـ ـ ٨٥١ م) .
٤) رحلة ابن وهب القريشي (٢٥٦ هـ ـ ٨٦٩ م) .
٥) رحلة اليعقوبي (٢٩٦ هـ ـ ٩٠٥ م) .

وهذه الرحلات باستثناء رحلة اليعقوبي يغلب عليها طابع الوصف العام للاوضاع الجغرافية او الطبيعية منها والبشرية ، وقد برز في رحلة اليعقوبي خصائص علمية ميزتها عن الرحلات السابقة .

اما في القرن الرابع الهجري والذي يتفق مع القرن العاشر الميلادي فان الرحلات بدأت تأخذ طابعاً جديداً يبرز فيه جانب التخصص فهنالك رحلات جغرافية منها

١) رحلة ابن فضلان (٣٠٩ هـ ـ ٩٢١ م) .
٢) رحلة ابن حوقل (٣٣١ هـ ـ ٩٤٣ م) .
٣) رحلة المقدسي (٣٣٦ هـ ـ ٩٤٧ م) .
٤) رحلة ابي دلف (٣٩٠ هـ ـ ١٠٠٠ م) .
٥) رحلة عبد اللطيف البغدادي (٥٥٧ هـ ـ ١١٦٢ م) .
٦) رحلة الحموي (٥٧٥ هـ ـ ١١٧٩ م) .

وهناك رحلات برز فيها الطابع العلمي لذلك يمكن اعتبارها رحلات علمية امثال

١) رحلة البيروني (٣٦٢ هـ ـ ٤٤٠ هـ) .
٢) رحلة بن فضلان (..... ـ ٤٤٤ ه) .

---

(١) نفس المصدر ، ص ٢٧ .

وكانت الرحلة الاولى تؤكد على الجوانب الفلكية والتنجيم والرياضيات والقوانين عند البيروتي . اما الرحلة الثانية فقد سادها الطابع الطبي وكلا الرحلتين ساد عليها الطابع الادبي شأن جميع المعارف في تلك المرحلة .

وهنالك النوع الثالث من الرحلات وتتمثل في الرحلات التي يسود عليها الطابع التاريخي مثال :

١) رحلة المسعودي (٣٠٩ هـ ـ ٩٢١ م) .
٢) رحلة اسامة بن منقذ (٥٨٤ هـ ـ ١١٨٧ م) .
٣) رحلة ابن خلدون (٧٣٢ هـ ـ ٣٣٢ م) .
٤) رحلة الهروي (٦١١ هـ ـ ١٢١٥ م) .

ومن الرحلات المهمة التي بقيت آثارها واضحة المعالم رحلة ابن جبير ورحلة ابن بطوطة . اشرنا اليها عند بحثنا للفكر العربي في العصر الاسلامي .

لقد اشرنا فيما سبق الى المراحل التي مر بها اتساع الافق الجغرافي قبل النهضة الاوربية الحديثة والتي كان من نتائجها الاستكشافات الجغرافية في مرحلتها الحديثة والتي كان من بداية نتائج تلك الاستكشافات اكتشاف العالم الجديد ..

الكشوف الجغرافية الحديثة :

تمثل حركة الكشوف الجغرافية مظهراً من مظاهر النهضة الاوربية الحديثة فمنذ القرن الثاني عشر الميلادي بدأ الفكر الجغرافي يأخذ طابعاً جديداً يختلف عما كان عليه في القرون السابقة ، حيث بدأ الاهتمام بالمعرفة الجغرافية على مختلف المستويات وبدوافع متعددة ومتباينة ، فالحاكم ذو الرغبة في توسيع رقعة سيطرته يلجأ للجغرافية ليهتدي بها الى مناطق جديدة يفرض فيها سيطرته . والتاجر الباحث عن الاسواق لتصريف تجارته يجد في الجغرافية خير معين يهديه لذلك . ورجل الدين الذي يرغب في نشر افكاره الدينية ، يجد في الجغرافية واسطة تعرفه بسكان العالم ، والمغامر وغيره كلهم يجدون في المعرفة الجغرافية تحقيق ضالتهم .

وتهيأت قاعدة علمية ساعدت على تحقيق رغبات هؤلاء جميعاً ، فالعلوم الجغرافية التي تركها العرب في البلاد التي اخرجوا منها هيأت كل ما يحتاجونه ، فخرائط الادريسي ورحلات الرحالة العرب والوسائل العلمية المستخدمة في معرفة الطرق والاتجاهات التي وفرها الفكر الجغرافي العربي ، كل ذلك كان دافعاً وراء

حركة الاكتشافات الجغرافية الحديثة ، فمنذ منتصف القرن الخامس عشر ظهرت ظروف مترابطة اخذت بالناس للبحث عن طرق جديدة كانت تراود خيال المسؤولين والتجار والبحارة ورجال الدين والباحثين، وقد صاحب هذا التوجه ظروف عالمية ساعدت على دفعه للامام . تمثلت في التغيرات السياسية التي حدثت وساعدت على دفع فكرة البحث عن طرق جديدة تربط بين المناطق المعلومة فيما بينها ، وبين المناطق المعلومة والمناطق المجهولة ، وكانت تلك الظروف السياسية قد تمثلت في مجيء الدولة العثمانية وسيطرتها على اهم المضايق التي تصل الطرق البحرية القديمة سواء كانت تلك التي تربط بين البحر المتوسط والبحر الاسود ام في الممرات على اليابسة .

يضاف الى ذلك الوضع الاقتصادي المتطور الذي ظهر في اوربا منذ بداية عصر النهضة والذي زاد فيه الانتاج الاوربي عما كان عليه وعما يحتاجه السكان فظهرت حاجة البحث عن اسواق لتصريف فائض الانتاج وجلب ما تحتاجه الاسواق الغربية .

من منتجات الشرق المختلفة عن منتجات القارة الاوربية بسبب اختلاف الظروف الطبيعية والبشرية .

وقد تركزت الاكتشافات الجغرافية للبحث عن ثلاثة امور : ـ

ا ـ الوصول الى الشرق دون المرور بطريق البحر المتوسط واراضي الدولة العثمانية عن طريق الجنوب أو الدوران حول القارة الافريقية .

ب ـ الوصول الى الصين والشرق الاقصى عن طريق الغرب ، بعد ان تبلورت فكرة كروية الارض واصبح معلوماً ان من سار غرباً سيعود من الشرق .

جـ ـ اكتشاف داخلية القارات ، ويتركز هذا الاتجاه حول قارة افريقية التي كانت معرفة الانسان عنها مقتصرة على السواحل الشمالية المطلة على البحر المتوسط والبحر الاحمر وسواحل المحيط الاطلسي لشمال القارة .

وبالنظر لتداخل احداث الاكتشافات الجغرافية وتعدد اسماء الفاتحين بها فيفضل ان يتبع في بحثها الايجاز والتركيز والتبويب ، وحيث ان التبويب السابق واضح كونه يتكون من ثلاثة نقاط ، فسوف نتخذه الاساس في متابعة الاكتشافات الجغرافية في مرحلتها الاولى والتي استمرت حوالي قرن كامل :

دوافع الاكتشافات الجغرافية :
) الدوافع الاقتصادية
) الدوافع الدينية
) الدوافع السياسية

آ ـ الوصول الى الشرق عن طريق الجنوب

الوصول الى الشرق عن طريق الجنوب دون المرور بالأراضي الاسلامية يعني الدوران حول قارة افريقية ، ومن ثم التوجه نحو الهند عن طريق المحيط الهندي ، ولما كان هذا الطريق يمر في مناطق تعتبر من المناطق المجهولة في ذلك الوقت ، لذلك تطلب الامر اكتشاف المناطق المجهولة التي يمر بها هذا الطريق .

وقد لعبت البرتغال دوراً مهماً في اكتشاف الطريق المذكور وقد ساعدها على ذلك سيطرتهم على الوضع السياسي في بلادهم وخاصة بعد اخراج العرب والمسلمين الموجودين في اسبانيا وحصرهم في المناطق الجبلية في منطقة غرناطه ، اذ تكونت حدودهم الحالية ، منذ عام ١٢٦٢ م ، وبعدها تهيأت لهم الفرصة للاهتمام باكتشاف طرق جديدة منذ اوائل القرن الخامس عشر الميلادي وقد ساعدتهم عدة عوامل لتحقيق طموحهم تمثلت في ادخال التحسينات الكبيرة على صناعة السفن وادخال تعديلات على استخدام البوصلة الملاحية القديمة التي طورها العرب باضافة مؤشر يبين اتجاه الرياح وتوفر المعلومات والخرائط مضافاً اليها رغبة الحكام واشرافهم على الرحلات الكشفية بأنفسهم بدوافع متعددة سياسية واقتصادية ودينية ونذكر منهم على سبيل المثال « الأمير هنري » والذي عرف بهنري الملاح والذي أسس معهداً لعلوم الملاحة بعد أن اطلع على الكتب المتوفرة في المكتبات العربية في تلك الاجزاء من البرتغال والتي تم استردادها من المسلمين .(١)

وقبل ان نتابع دور البرتغاليين في مجال اكتشاف هذا الطريق نشير الى اشارة حق وهي ان العرب في الاندلس قد عرفوا الجزء المهم من هذا الطريق وقاموا برحلات بحرية عديدة خلال القرن الخامس عشر خصوصاً في الربع الثالث منه ، ووصلوا الى المناطق الساحلية في غرب افريقية ، اما النشاط البرتغالي فقد بدأ منذ عام ١٤١٥ عندما قام هنري الملاح برحلة الى سبتة وحصل على الكثير من المعلومات عن بلاد النيجر ، وفي سنة ١٤٢٤ احتلت البرتغال جزر كناري ، وفي سنة ١٤٣٤ م قام هنري الملاح برحلة استكشاف ، دار فيها حول رأس بوجادور ثم واصل البحارة البرتغاليون اكتشافاتهم حتى وصلوا الى نهر السنغال والى الرأس الاخضر ، ثم توقفت الحركة فترة من الزمن بسبب وفاة هنري الملاح .

---

(١) دونا لدربرغر ـ تاريخ افريقية جنوب الصحراء ، ص ٥١ .

وعادت ونشطت عام ١٤٧٠ حيث تم اكتشاف سواحل خليج غانة . وفي عام ١٤٨٢ قام بارتولوميوديا ز برحلة لاكتشاف المناطق الساحلية باتجاه الجنوب . تابعها برحلة ثانية عام ١٤٨٧ الهدف منها الوصول الى الهند بدأها من لشبونة ماراً بالكونغو حتى دار حول القارة الافريقية بعد مروره بخليج موصل «Massel Bay» ثم توقف عند مصب نهر «Creat Fish. R» بعدها عاد باتجاه منطقة الكاب ثم الى لشبونة . وبذلك سجلت البرتغال لنفسها اكتشاف رأس الرجاء الصالح .

ولم تتوقف الاكتشافات البرتغالية عند هذا الحد . فقد قام فاسكوديكاما سنة ١٤٩٧ م برحلته المشهورة والتي انتهت بالوصول الى الهند وقد بدأت رحلة ديكاما من نهر تاجوس «TAGUS» شمال لشبونة باتجاه الرأس الاخضر ثم جزيرة سنت هيلانة فرأس الرجاء الصالح ثم وصلوا الى موزنبيق .

وهنالك ألتقوا بالتجار العرب وحصلوا منهم على كثير من المعلومات . وفي هذا المجال يشار الى دور الملاح العربي المشهور بن ماجد الذي اعطاهم فكرة واضحة عن طبيعة البحار والطرق البحرية .(١) الامر الذي سهل لهم الوصول الى الهند في ٢٣ مايس سنة ١٤٩٨ م . وبذلك تم تحقيق الهدف الاول من اهداف الاكتشافات الجغرافية المتمثل في الوصول الى الشرق عن طريق الجنوب .

ب ـ الوصول الى الصين والشرق الاقصى عن طريق الغرب :

مع ان الاكتشافات الجغرافية تمثل نشاطاً فكرياً علمياً الا انها لم تكن بعيدة عن دور المنافسة الدولية . ففي الوقت الذي اتجهت فيه البرتغال نحو قارة افريقية وركزت جهودها حول اكتشاف الطرق التي تتجه جنوباً للوصول الى الهند . نرى اسبانيا تتخذ من التوجه غرباً بهدف الوصول الى الشرق سبيلاً لمنافسة البرتغال .

فبعد ان رفض ملك البرتغال طلبا تقدم به كريستوفر كولومبس انتقل الى ملكة اسبانيا ايزابيلا سنة ١٤٨٤ وعرض عليها مشروع القيام برحلة الى الشرق عن طريق التوجه غرباً فوافقت على تمويل المشروع . وفي آب من عام ١٤٩٢ ابحر كولمبس من اسبانيا متجهاً الى جزر كناري ومنها اتجه غرباً ثم اتجه نحو الجنوب الغربي . وفي اوائل تشرين الثاني من نفس العام وصل جزر ياهاما . ثم وصل جزيرة كوبا ثم جزيرة هايتي . وبعدها عاد الى جزر ازور . ومن ثم عاد الى اسبانيا .

---

(١) ابراهيم المشهداني واخرون . الخليج العربي ص ١٩٤

وقد نتجت عن نجاح هذه الرحلة ان برزت الخلافات بين الدول التي دفعت بالاستكشافات الجغرافية ومولتها ، الامر الذي دعى اسبانيا الى ان تطلب من البابا الكسندر السادس اصدار مرسوم يخول اسبانيا حق السيادة على جميع الاراضي التي يكتشفونها . وقد حدد المرسوم الذي اصدره البابا سنة ١٤٩٣ بان الاراضي التي تقع الى غرب خط يبعد عن الراس الاخضر بـ ٤٨٠ كم تعود سيادتها الى اسبانيا والتي تقع الى شرق الخط تعود سيادتها الى البرتغال .

او بعد ذلك قام كولومبس بثلاث رحلات اخرى اكتشف فيها معظم جزر البحر الكاريبي وسواحل امريكا الجنوبية .

وهنا لابد من الاشارة الى التغير الذي طرأ على اهداف الكشوف الجغرافية فبعد ان تم اكتشاف منطقة البحر الكاريبي من قبل كولمبس ، نرى ان الهدف القائم للبحث عن طريق نحو الشرق قد تغير وتحول الى مواصلة الكشوف في القارة الجديدة .

فتركزت الكشوف الاسبانية باتجاه امريكا الوسطى والجنوبية ووصلت الى الحدود الجنوبية للولايات المتحدة الامريكية الحالية . وبعد ذلك تحول الاتجاه وتركز نحو داخل قارة امريكا الشمالية .

ففي سنة ١٥٣٩ قام « دي سوتو » باكتشاف فلوريدا وجورجيا الحالية وجبال الابلاش ثم اتجه صوب الشمال الغربي فعبر نهر المسيسبي وسار على ضفته الغربية[١] وفي خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر اتجهت الاكتشافات نحو قلب القارة ، وشاركت فيها بجانب الاسبان مجموعات اخرى نتيجة للضعف السياسي الذي طرأ على الدولة الاسبانية وظهور دول اخرى احتلت مركزاً سياسياً خلال القرنين المذكورين امثال بريطانيا وفرنسا ، وقد اتخذت كشوف داخل القارة اتجاهات متعددة خضعت لطبيعة الاوضاع السياسية .

فالفرنسيون بدأوا عن طريق مصب نهر سنت لورنس ، ولويزيانا ، والانكليز قاموا باكتشاف جبال الابلاشيان وركزوا جهودهم للبحث عن مناطق يمكن استغلالها اقتصادياً والاسبان ركزوا كشوفهم في المناطق الغربية من مراكزهم السابقة فركزوا على المناطق الجنوبية الغربية ، واستمرت حملة ارتياد القارة فترة من الزمن انتهت باكتشاف معظم اجزاء امريكا الشمالية ، اما قارة امريكا الجنوبية ، فقد بقيت معظم اجزاء القارة الداخلية غير مكتشفة حتى بداية القرن التاسع عشر .

---

(١) الجوهري ، ص ١٨٦

جـ ـ اكتشاف داخلية القارات (المرحلة الحديثة)

بعد ان تحققت الاهداف السابقة للاستكشافات الجغرافية المتمثلة في الوصول الى الشرق دون المرور بطريق البحر المتوسط والوصول الى الشرق الاقصى عن طريق الغرب والذي نتج عنها اكتشاف مناطق جديدة لم تكن ضمن اهداف الاستكشافات الجغرافية . برزت حالة جديدة في طبيعة الاستكشافات الجغرافية تمثلت في توضيح الصورة الكاملة لطبيعة الاراضي المكتشفة الجديدة . وقد ساعد على ظهور هذا الاهتمام :

١) الوضع السياسي العالمي . حيث برزت دول كبرى اخذت تدعم الاكتشافات وتتخذ منها اسلوباً سياسياً لغرض سيطرتها على المناطق المكتشفة .
٢) تطور طرق المواصلات ووسائل النقل الامر الذي يسر الكثير من الامور والكثير من المصاعب التي كانت تعيق حركة الاستكشافات الجغرافية .
٣) زيادة المعرفة وتطور العلوم التي من شأنها خدمة حركة الاستكشافات الجغرافية وخاصة ما يتعلق منها بتسهيل مهمات الاستكشافات .

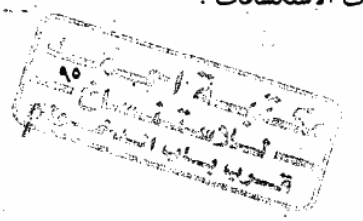

هذه العوامل مجتمعة ساعدت على ان تتضافر الجهود لاكتشاف معظم الاجزاء المجهولة في داخل القارات ، وبالنظر لسعة الموضوع وتعدد القائمين بحركة الاكتشافات التي تخص داخل القارات فسوف نوجز ذلك بما يلي :

آ ـ اكتشاف المناطق الداخلية للقارة الافريقية .

ب ـ اكتشاف قارة استراليا والجزر المجاورة لها .

اكتشاف المناطق القطبية .

مكتبة احمد
للاستنساخ
والتصوير والطباعة

١) اكتشاف داخل القارة الافريقية :

بعد ان انتهت المرحلة الاولى من مراحل اكتشاف القارة والتي تمثلت في اكتشاف سواحل القارة الافريقية كما مر بنا سابقاً بدأت مرحلة جديدة من مراحل اكتشاف القارة تمثلت في معرفة داخل القارة ، وقد بدأت منذ اوائل القرن التاسع عشر حتى ربعه الثالث ، وفي هذه المرحلة تم اختراق القارة من الشرق الى الغرب ومن الشمال الى الجنوب ، وثم تحقيق عدد من المشكلات التي كانت تتعلق بأواسط القارة الافريقية ، تمثلت في منابع الانهار واتجاهها والبحيرات وطبيعة مياهها وكشف المدن ذات الشهرة التاريخية اضافة الى طبيعة الانهار ذات التصريف الداخلي .

* وكانت الظواهر الطبيعية المتحكمة في القارة والمتمثلة في طبيعة الظروف الطوبغرافية والمناخية وطبيعة السواحل تحول دون الوصول الى حلول تلك المشاكل
* اضافة الى الوضع البشري الذي كانت تعانيه القارة والمتمثل في تخلف السكان .

ولكن نتيجة للتطور الذي اصاب وسائل النقل ودخول القوة التجارية في النقل البحري وظهور اسلحة جديدة من شأنها تأمين حياة المستكشفين وتطور وسائل مكافحة الامراض اعطى المستكشفين الدعم الكبير لاختراق قلب القارة وقهرها واخضاعها للسيطرة والاستغلال .

وقد بدأت حملة اكتشاف القارة بمرحلتها الحديثة سنة ١٧٧٩ م

١) جيمس بروس ، بدأ من مصوع الى تانا وسنار سنة ١٧٧٩ م

٢) كلابرتون ، بدأ من مدينة طرابلس الى دلتا النيجر وبحيرة تشاد سنة ١٨٣٤ .

٣) سليم قبطان بدأ من الخرطوم الى اعالي بحر الجبل سنة ١٨٤٩ .

٤) لفنجستون ، من موزمبيق الى انكولا سنة ١٨٥٢ .

٥) برتسون وسبيك من زنجبار الى بحيرة نيف ١٨٥٨ .

مكتبة احمد
مجاور الباب الامامي